غستون مسبرو

نعى البرق الينا المرحوم السرغستون مسبرو المدير السابق لدار الآثار المصرية واكبر علماء الآثار المصرية في هذا العصر. توفي فجأة في ٣٠ يونيو الماضي بباريس وهو يشهد جلسة لمجمع الكتابات القديمة والآداب. وقد جاءتنا مقالة عنهُ لحضرة صاحب الامضاء قال فيها ما خلاصتهُ:

مثل مسبرو من تظهرهُ اعمالهُ وامثالهُ قليلون. وهو ايطالي الاصل ولكنهُ ولد في باريس في ٢٣ يونيو سنة ١٨٤٦ فيكون قد عاش ٧٠ سنة واسبوعاً واحداً

أسس المتحف المصري ماريت باشا في عهد سعيد باشا والي مصر ولا يزال لهُ في سقارة منزل معروف باسمهِ. وقد مات في مصر ودفن في حديقة المتحف الذي أسس اولاً في بولاق واقيم لهُ تمثال في المتحف الجديد بقصر النيل وسمي اكبر شارع تجاه المتحف باسمهِ. وتولى ادارة المتحف من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٨١. وخلفهُ مسبرو لاول مرة حتى سنة ١٨٨٦ ثم جربيو الى سنة ١٨٩٢. ثم دي مورجان الى سنة ١٨٩٧. ثم لوريه الى ١٨٩٩. ثم صاحب الترجمة من ١٨٩٩ الى ١٩١٤ حينما استقال في اوائل هذه الحرب وعاد الى باريس. وكان لهُ نجلان هنري وجان. فانتظم جان في الجيش الفرنسوي وقتل في اوائل سنة ١٩١٥. فلما وافى اباهُ نعيهُ أصيب بداء عضال ما زال بهِ حتى قضى عليهِ. وكان ابنهُ جان كاتباً لهُ ثلاثة مؤلفات في النظامات الحربية المصرية في عهد الدولة البيزنطية. واشتغل بالفهرس العام لدار الآثار المصرية وهو ثلاثة اجزاء صحح الاخير قبل قتل موتهِ. فانهُ كان قد أصيب بجرح ومنح اجازة قضاها في تصحيح هذا الجزء. وقد طبعهُ والدهُ بعد وفاتهِ وصدرهُ بمقدمة بليغة شرح فيها عظم مصابهِ بابنهِ وختمها ببيان مؤلفاتهِ ومقالاتهِ العديدة المطبوعة في المجلات العلمية

كتب المترجم كثيراً وخطب كثيراً في الاندية والمجتمعات العلمية. وكان شاعراً يظهر اثر شعرهِ وخيالهِ السامي في وصف آثار مصر المدهشة فاذا وصف حقائق المدنية المصرية القديمة لم يترك مجالاً لقائل. وكان غاية في التواضع حتى لم يكن يرضى الوقوف امام المصوّر لاخذ صورتهِ فلذلك نرى صورهُ الفتوغرافية قليلة لا تعرف منها غير صورة اخذت يوم رأس المعهد العلمي المصري في القاهرة. ووجدت لهُ صورة أخرى صورت سنة ١٩١٢. وهي تمثلهُ واقفاً بجانب آثار دير المدينة او الدير البحري في طيبة بعد اكتشافاتهِ المشهورة. وقد بلغني ان حضرة احمد بك كمال الامين المصري لدار التحف السابق مشتغل بوضع ترجمة وافية للفقيد يذكر فيها اعمالهُ وآثارهُ ونام العمل

والى القراء اسماء مؤلفاته نقلاً عما هو محفوظ في دار الكتب السلطانية

الكتابة المنقوشة في هيكل ايدوس (العرابة المدفونة في البلينا) . نقلها وترجمها الى الفرنسوية وعلق عليها واتبعها بتبذة في شباب سيزوستريس . طبع في باريس سنة ١٨٦٧ طبعة حجر في ٨٠ صفحة

مديح الليل . نقلهُ عن النصوص المحفوظة في دار التحف البريطانية . طبع في باريس طبعة حجر سنة ١٨٦٨ في ٣٢ صفحة . وقد ترجمهُ احمد بك كمال ونشرهُ في كتاب العقد الثمين في محاسن اخبار و بدائع آثار الاقدمين من المصريين وهو مذكور في تاريخ المشرق الذي ترجمهُ سعادة احمد زكي باشا

مؤلف في اصول اللغة المصرية القديمة باشكالها الثلاثة — الهيروغليفية والديموتيقية والهيراتيقية . طبع على حجر في باريس سنة ١٨٧١ . وكان عارفاً باللغة القبطية نطبع شذرات من العهد القديم بالقبطية الصعيدية وجدت في الدير الابيض باخميم . واشتغل بالاوراق البردية واطال البحث فيها بعد ان اكثرت متاحف اوربا من اقتنائها وتهافت العلماء على الفلاحين لشرائها منهم . وكان الفلاحون يجدونها في اكوام السباخ

تاريخ امم المشرق القديمة . وهو في ثلاثة اجزاء طبع في باريس من سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٩ وترجم الى الانكليزية بقلم الاستاذ سايس ومالك كلور وبرابورت في ١٢ جزءاً

تحقيق قضائي في طيبة في عهد العائلة العشرين . طبع في باريس سنة ١٨٧١ في ٨٦ صفحة

وقد ترجم من اللغات الاوربية الى الفرنسوية ما رآهُ نافعاً في موضوعهِ كما ترجمت مؤلفاتهُ الى تلك اللغات . وكان يوافي الجرائد والمجلات بمقالات ونبذ ورسائل نافعة كلما سنحت لهُ الفرصة و ببيانات اعمال مجمع الكتابات والآداب في باريس من سنة ١٨٨ وكان سكرتيرهُ الدائم . وفي قاعة محاضراته قبض الى ربهِ كما تقدمت الاشارة اليهِ . وكان يحف اعضاءهُ كلما ام باريس لقضاء اجازتهِ السنوية فيها بمقالات لها المقام الاول او يراسل بها الرئيس فتقرأ بين اعجاب الاعضاء وثقتهم بعلم صاحبها . وكان عضواً في معهد فرنسا العلمي (الانستتو) وفي لجنة تحرير مجلة العلماء التي تصدر في باريس منذ قرن من الزمان وفي جمعيات علمية كثيرة اجنبية كالجمعية الاسيوية الملكية في انكلترا وفي ايطاليا

وكان عالماً باللاتينية وقد وضع رسالة بها سنة ١٨٧٢ في مكان كركيش وعلاقتها بالتاريخ القديم . وعلى بحثهِ في التاريخ القديم صنعت الاطالس والخرائط القديمة . ولم يعقد مؤتمر دولي للمستشرقين الاَّ ولصاحب الترجمة المقام الاول فيهِ . وكان يختار لرآسة القسم

الشرقي فيه عامة او القسم المصري خاصة . وكان يكتب بعض المقالات او مقدمات الكتب بالانكليزية والايطالية والالمانية واليونانية القديمة مما دل على تضلعه منها

واشتغل بوضع مؤلف خاص بالحكايات المصرية القديمة وجمع المواويل وما ينشد نظماً في مصر باللغة العربية العامية وترجمهُ الى الفرنسوية وطبعهُ بها . وكان يكتب في المجلة المعروفة باسم مجلة اللغة المصرية ولهُ فيها مؤلفات عديدة في القضاء المصري في عهد الفراعنة . وكانت الحكومات الاجنبية التي اقتنت آثاراً مصرية تنتدبهُ لايضاحها وبيان مكانها من تاريخ مصر . ومن اعظم آثاره فهرست المتحف المصري الفهُ في مدينة برسيليا سنة ١٨٨٩ . وقد جمع شتات ابحاثهِ في مجلدين طبعهما معاً . وصدر باداراتهِ ٣٥ مجلداً من مقالات المشتغلين باللغة المصرية القديمة من الفرنسويين وعلق عليها ما عنَّ لهُ من الآراء

وكانت الحكومة الفرنسوية قد اوفدت الى مصر جماعة من العلماء عرفت باسم البعثة الفرنسوية الاثرية فبدأت عملها سنة ١٨٨٠ واصدرت نحو ٣٠ مجلداً في آثار مصر من فرعونية واسلامية عربية فشاركها صاحب الترجمة في اعمالها واختص بالعهد الفرعوني . ثم غير اسمها الى المعهد الفرنسوي العلمي ومقرهُ الآن في المنيرة حيث مدرسة الحقوق الفرنسوية . وقد عهدت الحكومة المصرية اليهِ في الاشراف على اعمال الحفر والتنقيب عن العاديات بعد ما ثبت لها انهما عملان متلازمان . فعين في كل مديرية مفتشاً للآثار واقام الخفراء للمحافظة على الآثار خوف تلاعب الطامعين بها بعد ان نهبوا منها ما نهبوا ولكنهُ لم يكن يمنع البعثات الاجنبية الاوربية من الحفر على نفقاتها وسنَّ لها قانوناً تقتسم مراراً

وآخر ما اشتغل بهِ في هذا القطر المعابد المصرية التي عمرها ماء النيل بعد بناء خزان اسوان من جزيرة انس الوجود الى النوبة . وسعى جهدهُ قرعها لتقوى على صروف الحدثان . وصرعان ما تولى ادارة المتحف المصري حتى طبع سنة ١٨٨٣ الدليل المشهور . وقد تكرر طبعهُ بزيادة ما اكتشف من الآثار سنة فسنة . وآخر طبعة لهُ كانت سنة ١٩١٤ وفيهِ مقدمة من انفس ما كتب عن انشاء المتحف وسبب تأسيسهِ والادوار التي تقلب عليها حتى بلغ دورهُ الحاضر

واما انفك يكتب في المجلات المصرية ويخطب في الاندية المصرية . والطالما شنف اسماع اعضاء نادي المدارس العليا في القاهرة والجمعية الاثرية في الاسكندرية ونادي رمسيس في القاهرة . وخطبتهُ الاخيرة في نادي رمسيس مشهورة فانها طبعت على حدة وعربت بعد موافقتهِ على تعريبها وطبعها وقد القاها في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ وموضعها الروابط التي تربط سكان مصر الحاليين بسكانها القدماء (وقد نشرت في مقتطف يناير سنة ١٩٠٩)

ومما يدلُّ على شدة حبهِ لمصر وآثارها وغيرتهِ على مصلحتها الحادثة الآتية . وخلاصتها ان المدعو محمد احمد عبد الرسول من اهل القرنة عثر على كنز ثمين لملكة هاتاسو من العائلة الثامنة عشرة في معبد الدير البحري غربي لقصر فسلب منها مع افراد عائلتهِ شيئاً كثيراً وباعوهُ للسياح . وما عتم ان طار صيت هذه الكنوز في اوربا فسمع مسبرو بذلك وقدم مصر واخبر داود باشا مديرقنا يومئذٍ بالامر . فبالغ في ارهابهم وسجنهم شهرين ليعترفوا بخبيئتهم فما ازدادوا الاَّ انكاراً فاطلق سراحهم . ولكن وقع نزاع بين السارقين فارسل محمد المذكور تلغرافاً الى مصلحة الآثار في يوليو سنة ١٨٨١ يخبرها فيهِ بحقيقة الحال ويرشدها الى مكان الكنز . فباشرت مصلحة الآثار الحفر في اطلال المعبد اسبوعين فوجدت نواويس وجثثاً للعائلة الثامنة عشرة الى الحادية والعشرين بينها جثة رمسيس الكبير من العائلة التاسعة عشرة فنقلت كلها الى المتحف المصري وهي من انفس الآثار

اما العمل الاكبر الذي اقدم عليهِ فهو الفهرس العام للآثار المصرية المحفوظة في متحف القاهرة . ولم يبدأ بهِ الاَّ بعد ترتيب الآثار وتنميرها في مكانها الحالي . وقد عرفت الحكومة قيمة هذا العمل النافع فطبعت هذا الفهرس الوافي على نفقتها وعينت المكافآت للعلماء الاخصائيين من فرنسويين وانكليز والمان وغيرهم وندبت لكل قسم من يشتغل بهِ و يصف محتوياتهِ . وقد طبع بعض هذا الفهرس ولا يزال يطبع الى الآن ومما يذكر انهُ لما وفد اعضاء المؤتمر الدولي الثاني للآثار اليونانية على هذا القطر لعقد مؤتمرهم في القاهرة باعتبار ان مصر كانت يونانية من عهد اسكندر المقدوني مؤسس الاسكندرية والبطالسة خلفائهِ كان المترجم اول من رحَّب بهم باسم علماء مصر والمنتخب رئيساً للمؤتمر وخصوصاً القسم الاثري فيهِ

واشترك في المعارض الاوربية والاميركية منظماً للمعروضات المصرية كما فعل ماريت باشا اذ نظم القسم المصري في معرض باريس العام الذي عقد سنة ١٨٦٧ فباهت مصر بآثارها . ولا يخفى انها كانت في ذلك العهد عهد اسمعيل باشا في طور التكوين ولم تكن آثارها المكشوفة قد بلغت عشر معشار ما بلغتهُ الآن بفضل ما بذل مسبرو عليها من السهر والعناية . فلا بدع اذا اقيم لهُ اثر وسمي احد الشوارع باسمهِ اسوة باهل الفضل على مصر من قومهِ مثل ماريت باشا وكلوت بك وسواهما

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية